

## اللغة العربية والتمكين التواصلي

د. رفيق البوحسيني

جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المغرب

### الملخص

لقد أضحى اليوم، موضوع تمكين اللغة العربية داخل الفضاءات التواصلية، من أولى الأولويات، إذ إن جل الأبحاث العلمية تؤكد تلازم الشحنة الدلالية والمضمونية والقناة أمتَ وَّسَل بها بغرض الإيصال والإبلاغ

إلا أن اللغة لا تقف وظيفتها عند الإيصال والإبلاغ بل تتعدى ذلك إلى تشكيل الجهاز المفاهيمي المسؤول عن تحديد طبيعة الوعي والإدراك لدى المتلقي.

فقد ارتبطت اللغة العربية بعوالم معرفية كثيرة، جعلت منها موئل التفاعل والتعلق بين صنوف الإنتاج الفكري والعلمي والثقافي. ورغم أن اللغة اللفظية، أو العلامات التواصلية اللفظية، في مقابل العلامات الرمزية والإشارية غير اللفظية، لا تشكل إلا النزر القليل وسط علم التواصل، إلا أن دورها فيه، لا تخطئه عين الدارس.

ويمكن رصد العلاقة الوظيفية الرابطة بين عالمي اللغة والتواصل من خلال الإجابة على السؤال الآتي:

ما هي حدود التأثير اللغوي في صياغة مجال تواصل إجرائي و

فاعل؟

إن تحرر اللغة العربية من وضعية الرف الحامل للأشياء النافعة، إلى كائن نافع أو منتج للنفع، سيبعث فيها من جديد روح الحياة والإضافة التي كانت تتمتع بها إبان مرحلة التأسيس والازدهار، مرحلة كان العرب فيها قادرين وبجدارة، على تحقيق مزوجة تكاملية وقوية ومنتجة بين بناء ثقافي وفكري ذي إشعاع عالمي، مازالت آثاره تدرس في جامعات الدنيا، وهو بناء قائم بالأساس على اللغة العربية وباللغة العربية، وبين انفتاح شجاع على نتاج الحضارات والثقافات المختلفة. فما طبيعة النفع اللغوي؟ وكيف ترسي دعائم التمكين للغة العربية في عالم التواصل؟

## 1- التعالق بين التواصل و اللغة

### 1-1-1- التواصل:

رغم حداثة التجربة الوجودية لعلم التواصل، إلا أنه . ومنذ الخطوة الأولى مع شانون 1948 «Shannon» . حاز اهتمام العقول المنظرة التي شغفت بتأثير واقع العلم والأكاديمي، فلم يكن من السهل وضع تعريف/حد لهذا العلم الجديد الذي يهيمن على مختلف مناحي الحياة، فهو ينطوي على وضوح المشاع، وغموض اللامحدود" ، فهو واضح بما

فيه الكفاية في حالة استخدامه الاصطلاحي، ولكنه غامض عندما يبحث عن حدود استعماله<sup>1</sup>.

وهو المعنى نفسه الذي نجده عند كل من جوج روسو G et G Rousseau حينما أكدنا على أننا نادرًا، ونحن نستعرض حاجاتنا الضرورية، ما نجد التواصل من بينها، مع أن هذا البعد أساس ومخصص للجنس البشري "فهو حيوي إلى درجة أننا ننسى ذكره، فالتواصل على الحقيقة هو التعبير عن الحياة"<sup>2</sup>.

في هذا المقام يحسن أن نميز بين وجهين للتواصل، الأول عام وشامل لكل نشاطات الإنسان بارتباط مع محيطه الحياتي، من نبات وحيوان بل وجماد وآلات.

أما الوجه الثاني فمخصوص، يتعلق بالروابط الجامعة بين بني البشر، بما يتضمنه من قصد وتأويل وترميز وتفكيك للسنن. وبهذا

<sup>1</sup> - محمد أمين موسى: العامل النفسي والاتصال، فعالية الاتصال في الحياة اليومية وعبر الوسائل- ط1-1994 مطبعة المعارف الجديدة (نيلسون 70ص15). ص8

<sup>2</sup> :- La communication : son rôle dans le travail social p 73  
- G et G Rousseau : G et G Rousseau –  
Mesope-Private

المفهوم يكون التواصل: " عملية يقصد مصدرُ نوعي بواسطتها، إثارة استجابةً نوعية لدى مستقبل نوعي".<sup>3</sup>

وإذا رجعنا إلى قاموس علم النفس، نجد أن التواصل بهذا المفهوم الشامل يعني: "نقل شيء من موضع إلى آخر، وهذا الشيء قد يكون رسالة أو رمزا أو معنى... ولكي يتم الاتصال، لابد من وجود ترميز مفهوم بين المرسل والمتلقي، حتى يتم تفسير المعنى المنقول دون أخطاء".<sup>4</sup> وتعد هذه المبادئ وغيرها مؤطرة للفعل الإنساني في مجال التواصل.<sup>5</sup>

تحتل اللغة في التواصل الموقعَ الفاعلَ والمؤثرَ، رغم المساحة الضيقة التي تشغلها داخل العلامات التواصلية التي تنقسم إلى علامات لفظية (علامات اللسان) وعلامات غير لفظية تشمل كل مجالات

<sup>3</sup> - بحسب تعريف الكاتبة إندي ريكارد (Rikarrd Indy73) - مصطفى

حجازي:الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان 1990 ط 1 (ص18)

<sup>4</sup> - أمين موسى: العامل النفسي: ص: 9 - The vanced lerner' s dictionary of current english 1968 p190

<sup>5</sup> - أنظر تفصيل ذلك في الفصل الأول من - Les fondements de la communication humaine :Joseph DeVito. Adaptation de Robert Tremblay gaetan morin - editeur 1993

العمران البشري بكل تجلياته. فاللغة هي النسق الرمزي المميز للفعل التواصلي الإنساني.

ولعل الميسم الأبرز في التواصل بمفهومه الخاص، هو التشارك أو المشاركة، وذلك في أنماطه الثلاثة (التواصل الذاتي-الشخصي - الجماهيري) لذا يمكن أن نخلص إلى تعريف جامع مفاده أن: "التواصل حصيلة جهد مشترك فيه، بين طرفين مختلفين، بينهما علاقة تكامل " لذلك فالتعبير بمصطلح "اتصال" - كما نجد ذلك في بعض الكتابات العربية- لا يحقق هذا المعنى الأساس.

### 1-2- اللغة:

لا تقل اللغة شمولا واستغراقا للنشاط الإنساني، بل هي التي تؤكد طابع الإنسانية في الكائن البشري "فهي ملتقى النشاطات الفكرية البعيدة والقريبة في وجود الإنسان"<sup>6</sup>.

واللغة بذلك تقوم على مقومات فسيولوجية وفكرية ونفسية واجتماعية، فهي فعالية عقلية منبثقة من الجهاز العصبي المركزي باتصال مع فعاليات أخرى كالتفكير والذكاء والتجريد<sup>7</sup>، تقول جوليا

<sup>6</sup> - في فلسفة اللغة . يوسف كمال الحاج . دار النشر: النهار . ط 2 . ص 7

<sup>7</sup> - يتشكل الإنسان من حيث هو ذات في اللغة وباللغة ، إذ هي وحدها التي تؤسس في حقيقة الأمر مفهوم "الأنا" ضمن واقعها الذي هو واقع الوجود. "إميل بنفنست (مسائل في الألسنية العامة) كاليمار، ص 259-260 عن: أنا أفكر.

كريستيفا: "إن اللغة هي الترجمة المادية للفكر، وأن هناك علاقة تربط بين الفكر واللغة، وهي علاقة الإنتاج والتبليغ".

وتعكس اللغة اللاتينية هذه الرابطة بقوة، إذ تستعمل كلمة *logos* بمعنى الخطاب أو الكلام أو اللغة، كما تعني العقل، والفكر والمنطق، ومعلوم أن هناك علاقة اشتقاقية بين اللغة *langue* والمنطق *logique* وبين *logos*.

لذلك يصعب الحديث عن اللغة، دون تسرب الأبعاد التواصلية إلى مجال تداولها، وقد يكون هذا ما جعل أرسطو يقول: "اللغة وظيفة عضوية في الإنسان، وهي أساس طبيعي للفضائل والصلات الاجتماعية والسياسية"<sup>8</sup>.

وإذا كان التواصل، في مبادئه الكبرى، عبارة عن مجموعة من العلامات اللفظية وغير اللفظية، فإننا يمكن أن نخلص إلى أن اللغة جزء لا يتجزأ من العملية التواصلية<sup>9</sup>، وإذا كانت دائرة التواصل في شمولها

<sup>8</sup> - الحقوق اللغوية: حق اللغة في الوجود، والبقاء، و التطور، و النماء، والوجود. عبد الهادي بوطالب. دار الكتاب . ط1. 2003. ص16

<sup>9</sup> - لنتناول أولاً التعبير في وظيفته التواصلية التي هو مدعو أصلاً إلى الاضطلاع بها. إن المركب الصوتي المتمفصل لا يصبح كلمة منطوقة أو خطاباً تواصلياً بصفة عامة إلا كون من يتكلم يفعل ذلك قصداً: "التعبير عما في ذاته حول شيء ما" أي كون من يتكلم - في بعض الأفعال النفسية - يضيف على المركب الصوتي معنى يريد إيصاله إلى من

تضم الإنسان والكائنات الحية الأخرى، فإن اللغة البشرية بالمقابل، تقوم على نظم تواصلية تمكن الأفراد من القدرة على إنتاج وفهم ألفاظ معقدة انطلاقاً من تفاعل الطاقات الذهنية والعقلية، مع الحاجات التعبيرية المتجددة، بما يعنيه ذلك من تعالق بين محتوى محدود بإطار معلوم قوامه أصوات و فونيمات معروفة و محدودة، وبين سيرورة من المتواليات اللغوية التعبيرية المتجددة باستمرار تبعاً للتوليد الذهني المستمر والمتجدد.

فكما أن الإنسان لا يستطيع أن يفكر بمعزل عن اللغة، فإن قدرته اللغوية الفطرية يمكن أن تعاني من ضمور حاد إذا ما تحققت خارج دائرة التواصل، حيث تتحقق إنسانيته من خلال نسيج الروابط المعقودة داخل المجموعة البشرية، فتتوسل اللغة إطاراً جامعاً لهذا النشاط المجتمعي.

---

ينصت إليه. ومع ذلك فإن هذا التواصل لا يصبح ممكناً إلا لأن المنصت أيضاً يفهم عندئذ قصد المتكلم وهو يفهم ذلك القصد، متمثلاً المتكلم لا كشخص يبيث مجرد أصوات ، وإنما كشخص يخاطبه، وبالتالي يقوم المنصت في نفس الوقت وبواسطة الأصوات ، ببعض الأفعال الدالة التي يريد إطلاعه عليها أو إبلاغه معناها. ادموند هوسرل(مباحث منطقية أولى)

E.HUSSERL ;Premières Recherches logiques ;1961.P-U-F.P :32-33

يعضد هذا المنحى ما ذهبت إليه أغلب العلوم الإنسانية، كعلم الاجتماع الذي يعرف الإنسان باعتباره كائنا اجتماعيا، وكذا علم النفس الذي يقرر تداخل دوائر الأنا والآخر في بلورة الشخصية، وأيضا علم الإجرام الذي يقر أن قطع العلاقات التواصلية بالآخر، أو ما يعرف بالحبس الانفرادي، من أقصى العقوبات التي توقع على الكائن البشري. من هذا المنطلق، نخلص إلى مقارنة مفادها، أنه كما أن المتكلم المثالي، بحسب شومسكي، يمتلك قدرة *competence* لغوية، تمثل استعدادا فطريا لتمثل بنيات الوحدات اللسانية غير المحدودة، فإنه أيضا وبقدر أكبر، يحوز رصيذا من الإواليات التوليدية التواصلية، تؤهله لإنتاج عملية تواصلية أولية.

وإنما تفاعلت القدرات الثلاث: القدرة اللغوية والفكرية والتواصلية، لاشتراكها المندمج في بلورة المسار التوليدي للنشاط الإنساني. وباكتمال أضلاع المثلث، تتم ممييزة الهوية البشرية عن الهويات الأخرى التي قد تتوافر على أحد أضلاع المثلث دون القدرة على بناء التجدد التوليدي المستمر.

يعزز هذا زعمنا بأن الإنسان يولد باستعداد تواصلية مبدئي، إذ لا وجود لشخصية غير تواصلية بالطبيعة والجبلة، ولئن وجدت، فهي حالة طارئة عليها، بعوامل خارجية أثرت سلبا على تطوير الكفايات التواصلية

الفطرية. ولعل من أبرز النظريات التواصلية تعبيراً عن هذا الاتجاه هي "البرمجة اللغوية العصبية" إذ إن تعريفها هو كالآتي: <sup>10</sup>

- البرمجة: تشير إلى أفكارنا ومشاعرنا وتصرفاتنا. حيث إنه من الممكن استبدال البرامج المألوفة، بأخرى جديدة وإيجابية.

- اللغوية: المقدرة الطبيعية على استخدام اللغة الملفوظة أو غير الملفوظة. والملفوظة تشير إلى كيفية عكس كلمات معينة ومجموعات من الكلمات لكلماتنا الذهنية. وغير الملفوظة لها صلة "بلغة الصمت"، لغة الوضعيات والحركات والعادات التي تكشف عن أساليبنا الفكرية ومعتقداتنا.

- العصبية: تشير إلى جهازنا العصبي وهو سبيل حواسنا الخمس التي من خلالها نرى ونسمع ونشعر ونتذوق ونشم. <sup>11</sup>

<sup>10</sup> - أنظر: ماذا تعني "البرمجة اللغوية العصبية"؟ - البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود، إبراهيم الفقي، الناشر: المركز الكندي للبرمجة اللغوية العصبية. 2001 . ص 17-18

<sup>11</sup> - في هذا الإطار، أجرى مجموعة من الباحثين تجارب على عدد من طلبة إحدى الجامعات الأمريكية، الذين كانوا يتقاضون أجوراً زهيدة مقابل غسل أواني مطبخ الجامعة، فعرضوا عليهم أجراً يضاعف أجورهم ثلاث مرات مقابل القيام بالتجربة التي تقتضي مكوناتهم بقاعات مكيفة، مجهزة بكل حاجات الإنسان الضرورية والكمالية، بشرط الانقطاع الكامل عن العالم الخارجي، وذلك لمدة ثلاثة أيام، فما كادت تنتهي المدة حتى انسحب كل المشاركين.

التواصل واللغة إذن، عالمان/مجالان عميقان في بناء الذات، مع تمايز في صفة التفاعل:

فإذا كانت اللغة مولدة للتفاعل الداخلي الذي تتشاكل فيه الفعاليات الذهنية والنفسية والعضوية، مع إمكان مقاسمة تفاعلية مع الواقع المحيط، فإن التواصل بالإضافة إلى ذلك تنتفي سمته الوجودية بانتفاء المثير النوعي، والمحفز الخارجي<sup>12</sup>.

---

- مصطفى حجازي . الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . لبنان . 1990 . ط 1.ص  
وكذا القصة التي أوردها القرآن الكريم عن المخلفين، ومنهم كعب بن مالك رضي الله عنه ، حيث قوطعوا من لدن محيطهم الاجتماعي لمدة خمسين يوماً، وإنما خلدت قصتهم في القرآن الكريم لارتباط العقوبة بطبيعة الإنسان على اختلاف الزمان والمكان، وما يمكن أن تسببه للحالة النفسية من ضيق «وضاقت عليهم الأرض بما رحبت» بتعبير الآية الكريمة من سورة التوبة .

<sup>12</sup> - فنتجاوز دائرة التواصل، كلا من اللفظ والكلمة لتشمل دائرة الزمن، وفي ذلك يقول إدوارد هال: "الزمن يتحدث ببساطة أكبر من الكلمات، فالرسالة التي نحملها تتحول إلى صوت مرفوع وبوضوح، لأنه يستعمل بوعي أدنى.

Le langage silencieux : Edward T Hall .traduit de l'américain  
par Jean Mesrie et Barbara Niceall. Edition du Seuil 1984  
.p16

## 2- مجال التواصل اللغوي

إن تحقيق واقع لغوي متفاعل ونشيط معافى من الصراع المجتمعي واللغوي، يمر حتما عبر سن استراتيجيات تواصلية على أساس تعدد لغوي تكاملي، إذ تعتبر المساحة التي يتيحها التواصل،<sup>13</sup> مجالا خصبا للتداول السلمي للغة مع مراعاة الحقوق الطبيعية لكل طرف لغوي، انسجاما مع مقتضيات التواصل الرامية إلى تأسيس بيئة متكاملة ومنسجمة تقوم على مفهوم الاختلاف والتنوع، وهو ما أكده الإعلان العالمي للحقوق اللغوية، حيث ذهب إلى أن وسيلة الحفاظ على لغة وضمان حقوق مستعمليها، تتمثل في التوفر على حدود آمنة واعتماد تلك اللغة كوسيلة في التعليم ومادة للتعلم ضمن البرامج التربوية<sup>14</sup> بشكل يحافظ على لحمية الكيان المجتمعي، بتحقيق توازن وظيفي متوازع عليه: "والبحث اللساني المقارن يقدم رؤى حركية وبنائية لتواصل اللغات، تنفي التحجر والصراع، وتساعد على بعث بنية لسانية فعلية ووظيفية، تنشط فيها الذاكرة (أو الذاكرات) اللسانية، في غناها وتنوعها بحسب

<sup>13</sup> - يقول Jurgen Rusch: "...إن مفهوم الاتصال/التواصل سوف يشمل كل العمليات التي بواسطتها يؤثر الناس في بعضهم البعض."<sup>13</sup> مصطفى حجازي: الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارية. ص18.

<sup>14</sup> - الحقوق اللغوية: عبد الهادي بوطالب : ص27

الوظيفية والطاقات الإدماجية والإجرائية<sup>15</sup>، فإذا كانت اللغة ذلك النظام الرمزي المحتوي لقيم الهوية والانتماء، فإن البحث اللساني يضمن بذلك تمثيلا لغويا شاملا لكل المسهمين في البناء المجتمعي.

إن عدم تأنيث البيت اللغوي الداخلي، عبر اعتماد سياسات لغوية تشاركية ومتفاعلة، يؤدي حتما إلى إضعاف الشخصية اللغوية الوطنية بكل مكوناتها، وتتحول بذلك سمة الاختلاف والتنوع والتعدد باعتبارها عناصر قوة وبناء، إلى عناصر تخلف وإضعاف لغويين.

وبما أننا لسنا بدعا من الأمم والحضارات التي تعتمد سياسات لغوية واضحة، فإننا نؤكد، سيرا على نهج هذه التجارب، على ضرورة تحقيق توافق مجتمعي حول ثلاث نقاط:

1- تأهيل مجتمعي ولغوي لتداول لغة رسمية مستوعبة لتضاريس العصر والحياة، محافظة على غناها التاريخي، وقوتها الهئية.

2- اعتماد تصور لغوي وظيفي تعددي، يمثل جميع المكونات اللغوية للمجتمع.

3- تجسير العلاقات التواصلية بالعالم عبر اللغات الأكثر تداولاً في المجال العلمي والإنتاج الفكري، تفاديا لسيطرة لغة أجنبية واحدة من

<sup>15</sup> - اللغة والبيئة: عبد القادر الفاسي الفهري. منشورات الزمن ع 38-2003. ص 46

جهة، وتحقيقا لمناخ من التنافس اللغوي المسهم في التنمية الحضارية المرجوة.

يُضَاف إلى ذلك كله ، استفراغ الوسع في نشر اللغة الرسمية عالميا " لأن الأمة تستطيع أن تكسب الأصدقاء لنفسها، إذا عملت على أن يكثر العالمين بلغتها من الأجانب" <sup>16</sup>.

تضمن هذه الخطوات، المستوى الحيوي والضروري للاندماج في مسارات مجتمع المعلومات المتدافعة، ولا يخفى على كل ذي لب، أن هذه الاستراتيجيات قد تبقى أسيرة الرفوف ما لم تتأسس على عزم صادق، ورؤية واضحة لموقع الشأن اللغوي في نهوض الأمم وتنميتها، وقد يكون ذلك هو السبب الأساس في تعثر المحاولات والمشاريع السابقة في التعريب، وهو ما سنفصل فيه القول في الجزء الأخير من هذه المداخلة.

### 3 - اللغة والنفع التكنولوجي والاقتصادي

تلخص مقولة ستالين "اللغة أداة من أدوات الإنتاج " ما أصبحت تشغله اللغة في عالم الاقتصاد، ليس باعتبارها رمزا سياديا في الأوطان الرامية إلى التقدم فحسب، بل وباعتبارها أيضا، قيمة مضافة لأي إنتاج اقتصادي على اختلاف طبيعته، ولذلك تركز الدراسات على الآثار

<sup>16</sup> - مناهج البحث في اللغة. تمام حسان. دار الثقافة، البيضاء. ط 2-1972. ص3

السلبية لتعليم العلوم والتكنولوجيا المرتبطة بعالم الاقتصاد بلغة غير اللغة الأم، وقد يفسر ذلك حرص الدول الاقتصادية الكبرى، على التداول الاقتصادي باللغة الأم سواء على مستوى التعليم بمختلف مستوياته أو على مستوى ترويج البضائع التي اختلفت طبيعتها، خاصة بتوجه الاقتصاد العالمي أكثر فأكثر إلى الاقتصاد المعرفي القائم على "صناعة المعرفة".

كل هذه التحديات، ليست مرتبطة باللغة العربية أو العالم العربي فقط، بل هو اتجاه عام في الاقتصاد العالمي نحو الاعتماد أكثر مما مضى على المعرفة، ونحو اقتصاد يدعى بالاقتصاد المبني على المعرفة *knowledge based economy*، حيث تتعاضد فيه، قيمة المعلومة، كما تزداد داخله قيمة دور الأصول غير المادية *Intangible assets-* أو الأصول المعرفية.<sup>17</sup>

ومن الواضح أن الدول النامية لم تنتبه إلى هذا التحول، وهو ما يتسبب لها في عدد لا ينتهي من المعوقات الاقتصادية، بسبب انعدام الوضوح في الرؤية للمجال اللغوي المنتج، ويمكن إجمال النتائج السلبية لذلك في:

- حصر المعرفة العلمية والتكنولوجية في نخبة المجتمع.

<sup>17</sup>- أثر اللغة العلمية والتكنولوجية في النمو الاقتصادي العربي، محمد مرياتي. أسئلة

اللغة. منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب . يوليو 2002. ص34

- عدم تطبيق وظائف اللغة الاقتصادية في المجتمع من التواصل والترجمة والتعاون والتعلم.
- انخفاض الإنتاجية والقيمة المضافة لفعاليات الإنتاج والخدمات للانخفاض في الاستثمار في رأس المال البشري وبالتالي انخفاض معدل النمو.
- إعاقة نشر الديمقراطية، لأن القوى العاملة لا تتكلم لغة العلم، مما يجعلها غير قادرة على المشاركة في الحكم وإدارة الدولة بشكل سليم<sup>18</sup>.
- يلحظ من خلال هذه النتائج مدى تشعب أبعاد العلاقة الرابطة بين اللغة الأم والاقتصاد سواء منه المحلي أو الخارجي.
- غني عن البيان، أن العلاقات الاقتصادية بين الدول، تعرف انتعاشاً ورواجاً ملحوظين في فضاء لغوي مشترك فيه، ويسهل التذليل على ذلك بالنظر إلى الروابط الاقتصادية بين الدول ومستعمراتها، وبين "المجموعات اللغوية" كالعالم الفرنكفوني والأنكلوساكسوني، إضافة إلى الكيانات والتجمعات الاقتصادية ك: "نافتا" NAFTA و الاتحاد الأوروبي ومجموعة النمر الآسيويين...، ونجد التوجه نفسه في السياسات الداخلية للدول، حيث إن دولا كماليزيا تعد من الدول متعددة اللغات، إلا أنها

---

<sup>18</sup>- نفسه ص12 وانظر الجامعة والتنمية: علي القاسمي . سلسلة المعرفة للجميع. ع 27-2002 . الجامعة وتخطيط السياسة اللغوية: ص151 وما بعدها.

اعتمدت لغة رسمية موحدة في تدريس وتعليم العلم والتكنولوجيا، حيث أسفرت هذه السياسات على نتائج اقتصادية قوية، ولا أدل على ذلك من معدل النمو المسجل، إذ يتراوح بين 7% إلى 12% سنويا. وهو ما يؤهلها بحسب خطة [20-20] إلى دخول نادي الكبار اقتصاديا بحلول العقد الثاني من هذا القرن، أي بحلول سنة 2020.

وقد تنبته الدول المتقدمة إلى أهمية العلاقة الرابطة بين اللغة والاقتصاد، فتأسست تخصصات تركز على العلاقة الرابطة بين هذين القطبين الحيويين في أية خطة تنموية، فتحول هذا الاهتمام من بعده العاطفي أو الدماغوجي القائم على العصبية العمياء، إلى توجه أكاديمي معزز بالبحث العلمي الرصين والمتوازن من جهة، وفاعل ومنتج في الواقع الاقتصادي من جهة أخرى.

إن الناظر إلى واقع اللغة العربية، يقف على حقيقة واضحة مفادها أن المجال الذي يمكن أن يعتبر الإطار الحقيقي لتداول اللغة، لا يقدم أدنى شروط التطور الطبيعي. والمقصود بالإطار، تلك العلاقات المترابطة المنتجة للمصالح والمنافع، أي تلك العلاقات التي تنبني عليها مبررات الوجود الإنساني.

إن مفهوم الجدوى أو المنفعة يؤسس لقاعدة المصادقية لعلاقة اللغة بالواقع، ولهذا السبب تكتسي مراقبة الواقع ورصد تضاريسه

الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والفكرية والفنية والإعلامية...تكتسي أهمية بالغة الحيوية.

إن ذلك يعني فيما يعنيه، أن المصلحة أو الجدوى الافتراضيتين للغة، لا يفيد أن ترتبطا بعلاقات غير حقيقية، أو أن تنتمي إلى ظرف احتمالي تختلف شروطه وإكراهاته كلياً عن ما تقتضيه الحاجات الحقيقية والملحة لبناء علاقة سليمة ومنتجة بين اللغة والنفع، أي بين النظام الرمزي اللغوي وبين الإسقاطات الحياتية للواقع.

#### 4- من اللغة إلى الثقافة

لقد فجرت تداعيات العولمة، أسئلة كبرى بخصوص قضايا: الإضافة، والهوية، والمثاقفة، والهيمنة الثقافية، و"المحو" الثقافي...وفي حَمَاءَ هذه التيارات، لم يعد التواصل مجرد أداة تساعد في عملية الإنتاج، بل أصبح إنتاجاً من نوع متقدم، لم تعد الدول فيه مجبرة على تجيش الجيوش، قصد الاضطلاع بدور "المبشر الحضاري"، بل استعاضت عن ذلك- بعيداً عن الإكراه البين- بصناعة أكثر إنتاجية وأعمق نفاذاً في الآخر، ألا وهي صناعة الأفكار.

لاشك أن النظر إلى الواقع الثقافي من خلال التنوع اللغوي التكاملي، الذي سبق بيان خطوات تحقيقه، يحول النطق الثقافي من حلبة صراع وتكرر ونزاع، إلى ساحة تواصلية رحبة، تسع جميع الأصوات والألوان الثقافية.

وإذا كان الوسيط اللغوي، بشقيه الرسمي والوطني، يضمن تداولاً إنتاجياً للقيم الثقافية الموطنة والمميزة، فإنه أيضاً يضطلع بدور صياغة النمط الثقافي المختلف والمتباين عن باقي الصور والأنماط الثقافية المشكّلة للثقافة الكونية.

وتعتبر اللغة، عاملاً حيوياً في بناء القوة الثقافية في واقع يسعى فيه "الإنسان الكوني (بمعنى الإنسان الذي صنع الكونية الراهنة أو الواقع الكوني) لا سيما في طوره الأمريكي، يسعى إلى فرض رؤيته الخاصة ومعاييره الثقافية على باقي الأمم"<sup>19</sup>.

إذا تقرر مبدأ اختلاف الثقافات وضرورة تكاملها لبناء مستقبل إنساني مشترك فيه، فإن من أهم أولويات تدبير هذا الاختلاف، هو البعد اللغوي الذي تقترح كل ثقافة نفسها من خلاله، وإذا غاب هذا البعد، دل ذلك على غياب في الإسهام في الثقافة العالمية، ونمثل لذلك برتبة اللغة العربية وهي إحدى لغات العالم الحية، المعترف بها في الأمم المتحدة، تحتل المرتبة العشرين على مستوى التداول على شبكة

---

<sup>19</sup> - الحق الإسلامي في الاختلاف . طه عبد الرحمن . المركز الثقافي العربي . ط 1

2005 . الدار البيضاء . ص 84

الانترنت<sup>20</sup>. وهذا مؤشر واضح لضآلة الإسهام العربي في التنمية الثقافية للإنسان الكوني.

#### 4-1: التعريب والمثاقفة:

أصبحت الضرورة ملحة لأن يعاد النظر في استراتيجيات التعريب، باعتبارها مدخلا أساسا للإسهام بتميز في الثقافة الكونية، وذلك لما أضحت تعانيه، هذه الاستراتيجيات من ترهل وتآكل. والتآكل عملية إفناء ذاتية، تقضي على عوامل البناء والحياة، بسبب تضائل القدرة على المقاومة، ومن باب أولى القدرة على الإبداع والإنتاج.

والتآكل في التعريب راجع في الأساس إلى اعتبار لغة الضاد، لغة كاملة مثلى، ولا يعمل الزمن فيها إلا على إضعافها، والانتقاص من قوتها، ومن المفيد في هذا المقام، أن نذكر بالفترة الزمنية التي حددها

<sup>20</sup> - وقد قال قوم : إن اليونانية أبسط اللغات ، ولعل هذا إنما هو الآن فإن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم ، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم ،فإنما يفيد لغة الأمة، وعلومها وأخبارها وقوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم .وأما من تلفت دولتهم ،وغلب عليهم عدوهم ،واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم ، فمضمون منهم موت الخواطر وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم ، ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم. هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة." ابن حزم . الإحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام . مصر. ج 1، ص 31

اللغويون القدامى إبان التأسيس لعلوم اللغة، في مائة وخمسين سنة قبل البعثة، ومثلها بعد البعثة، لتكون القاعدة الأساس، المعتمد بها كإطار مرجعي للغة النسقية.

وقد أثرت هذه الخلفية الاستمولوجية على المشتغل باللغة، وبالتعريب خصوصا، حيث تم التركيز على إيلاء الأهمية القصوى لقدرة اللغة العربية على تلبية حاجات المستجدات المصطلحية في مختلف العلوم، وهو جانب لا تخفى حساسيته وأهميته وخطورته، غير أن الاقتصار عليه لا يمكننا من تجاوز الحدود المعجمية والتركيبية والتأليفية، علما أنها نتائج لمراحل منهجية سابقة لها.

ويمكن تلخيص هذه المراحل في محطتين كبيرتين:

\*الأولى: اعتبار اللغة العربية كائنا حيا، له حركيته في التاريخ بما يقتضيه ذلك من تفاعل إيجابي مع مفعول الزمن، بغض النظر عن الفترة التي تم تحديدها سلفا، دون أن يعني ذلك الوقوع في " ردة معجمية" تنكر تلك المقاييس التي اعتمدت في حينها، بل اعتبارها مرحلة هامة وأساسية، ولكنها ليست نهائية.

\*الثانية: الاشتغال على تمكين اللغة العربية من أدوات تنظيرية قياسية إضطرادية، حيث لا تكون خاضعة لضغط السماع وتأثيراته، ولا إلى مزاحمة العلوم المهمة بدراسة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من

زاوية إضفاء روح القداسة على الأحكام اللغوية كما هي في العلوم الشرعية.

إننا لنزعم جازمين أن الاعتبارين المذكورين يعدان مدخلا أساسا حتى تتبوأ اللغة العربية الموقع الذي بمقتضاه تكتمل دائرة التنمية الحضارية للإنسان العربي، كما تجسد زمن الازدهار اللغوي الذي برزت ملامحه واضحة من خلال مظهرين على الأقل:

- أولهما: رفع المستوى الإنتاجي للغة العربية ونقلها من خصوصية شعرية أدبية فقط، خاصة بعد أن بلغ العرب الشأو العظيم في قرص الشعر و فنون القول، إلى قدرة توليدية خلاقية استوعبت كل علوم العرب من فلك وطب وفيزياء ورياضيات وصيدلة وكيمياء وهندسة وموسيقى وأدب وعلوم شرعية...

- ثانيهما: الاستعداد القوي لاستيعاب الآخر والانتفاع بإضافاته الفكرية والمعرفية بلغة عربية قياسية، وذلك بإخضاع المقترض من المصطلحات إلى مقاييس اللغة الصرفية والصواتية والتأليفية، فتصير مصطلحات معربة منسجمة مع النسق اللغوي العربي القياسي.

لا شك أنه كان تحديا كبيرا، استطاع العرب أن يرفعوه بلغتهم الخاصة، حينما فقهوا ضرورة تمثل اللغة لمجالات البناء والنفع في حياة الإنسان.

لقد كان منطلق هذه المنجزات قاعدة نظرية قوية حول اللغة ودورها في النسيج الثقافي والفكري والمعرفي، ولم يكن بد من إفراس اجتهادات لغوية رائدة قدمت صورة متكاملة عن اللغة، ابتداء من تنوع الآراء حول منشأ اللغة العربية، مروراً بالاختلاف حول طرق اكتسابها وتمثلها، ووصولاً إلى غنى التطبيقات النسقية لواجهاتها النحوية والصرفية والصوتية والدلالية والتألفية والتركيبية.

والملاحظ أن كل محطة من محطات تناول الظاهرة اللغوية، قد حظيت بأراء مختلفة واجتهادات متنوعة، وأحيانا متناقضة وهو دليل واضح على حيوية التنظير اللغوي واتساع آفاقه.

#### خلاصة:

لقد اتضح مما سبق، أن مجالات تطوير الذات التواصلية يتنازعها، على قاعدة التكامل، عالمان فسيحان وغنيان، اللغة والتواصل، وحيث إن الفعل الإنساني في التواصل يوسم بالرمزية التوليدية التي تعكس القدرة الذهنية المتجددة باستمرار، فقد كانت اللغة، الوسيط الأنسب للتعبير عن هذه العلاقة ذات التسلسل اللانهائي.

لذا كانت الحاجة ملحة لكي يعاد النظر إلى موقع اللغة العربية داخل نسيج التنمية الشاملة، باعتبارها أساساً لا محيد عنه لتحقيق ما دأبت على تحقيقه الأمم المتتالية عبر التاريخ، من جعل اللغة عَصَبَ مفهوم النفع بكل مظاهره وتجلياته.

## المراجع العربية

- 1- ابن حزم - الأحكام في أصول الأحكام، مطبعة الإمام، مصر ج 1.
- 2- إبراهيم الفقي: البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود، الناشر: المركز الكندي للبرمجة اللغوية العصبية 2001.
- 3- إميل بنفنست (مسائل في الألسنية العامة) كاليمار، عن: أنا أفكر. ترجمة محمد سبيلا و عبد السلام بنعبد العالي-دفا تر فلسفية-5 اللغة.
- 4- طه عبد الرحمن: الحق الإسلامي في الاختلاف:-المركز الثقافي العربي- ط1- 2005 الدار البيضاء.
- 5- عبد الهادي بوطالب: الحقوق اللغوية: حق اللغة في الوجود، والبقاء، و التطور، و النماء، والوجود..دار الكتاب ط1- 2003.
- 6- عبد القادر الفاسي الفهري: اللغة والبيئة. منشورات الزمن ع 38-2003
- 7- علي القاسمي: الجامعة والتنمية: - سلسلة المعرفة للجميع ع 27-2002
- 8- محمد مرياتي: أثر اللغة العلمية و التكنولوجيا في النمو الاقتصادي العربي، أسئلة اللغة. منشورات معهد - الدراسات والأبحاث للتعريب -يوليو 2002.
- 9- محمد أمين موسى: العامل النفسي والاتصال، فعالية الاتصال في الحياة اليومية وعبر الوسائل- ط1-1994 مطبعة المعارف الجديدة
- 10- . مصطفى حجازي:الاتصال الفعال في العلاقات الإنسانية والإدارية. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان. 1990. ط 1
- 11- يوسف كمال الحاج:في فلسفة اللغة:-دار النشر: النهار. ط 2.

### المراجع الأجنبية

- Edward T Hall : Le langage silencieux : traduit de l'américain par Jean Mesrie et Barbara Niceall. Edition du Seuil 1984.
- 2- E.HUSSERL : Première Recherches logique : 1961.  
U-F.P
- 3- Joseph DeVito : Les fondements de la communication humaine. Adaptation de Robert Tremblay gaetan morin – editeur1993.
- 4-. G et G Rousseau : La communication : son rôle dans le travail social et éducatif et la rencontre personnelle : –Mesope-Private